الأندلس: التسامح والتعايش الديني في خدمة السلم المجتمعي - مقاربة تاريخية

Al-Andalus: Tolerance and Religious Coexistence in the Service of Societal Peace - Historical approach

أ.د. **أحمد الخاطب:** أستاذ التعليم العالي، التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة دار الحديث الحسنية، جامعة القرويين، الرباط، المغرب.

Dr. Ahmed ElKhatib: Professor of History and Civilization, Dar El Hadith El-Hasania, University of Alquaraouiyine, Rebat, Morrrocco.

Email: ahmedelkhatib70@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v4i4.841

الملخص:

شكلت التجربة الأندلسية تجربة إسلامية وإنسانية فريدة ومتميزة في التدبير الحضاري للعيش المشترك بين أهل الديانات السماوية الثلاث. فقد كان الفتح الإسلامي للأندلس فتحا إنسانيا وحضاريا بامتياز، تحررت بموجبه شبه الجزيرة الإيبيرية من الاضطهاد الديني والسياسي والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي في ظل النظام القوطي الكاثوليكي؛ وانتقلت إلى عصر جديد، وتجربة حضارية جديدة في ظل الإسلام، عبر ثمانية قرون، تمتعت خلالها كل فئات المجتمع الأندلسي وطوائفه وأعراقه بمختلف الحقوق والحريات التي تضمنها شريعة الإسلام المتسمة بالوسطية والاعتدال والسماحة والقبول بالاختلاف والتعدد، فكان التساكن والتجاور والمصاهرة والتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود من أسرار السلم المجتمعي والنبوغ الحضاري في المجتمع الأندلسي بمختلف مكوناته العرقية والدينية. وقد تجلت مظاهر ذلك التعايش والتساكن في كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والاقتصادية، منذ اللحظات الجنينية للفتح الإسلامي، واستمرت في التطور والازدهار عبر عصور الدولة الإسلامية بالأندلس. فأسهم أبناء الأديان والأعراق المختلفة، من المسلمين والمسيحيين واليهود، والعرب والأمازيغ والإيبريين والصقالبة والزنوج في بناء الحضارة الأندلسية وتحقيق إنجازاتها العلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بفضل ما تميز به الحكم الإسلامي بالأندلس من تسامح ديني وحضاري عظيم، أدهش القدامى والمعاصرين. لذلك، تظل تجربة التساكن والتعايش الديني والحضاري بالأندلس، تجربة حضارية جديرة بالاعتبار المستدام في سبيل ترشيد البشرية نحو مستقبل آمن، ينبني على قيم التعايش والتسامح، لا قيم الكراهية والعدوان.

الكلمات المفتاحية: الأندلس – التعايش الديني – التسامح– التساكن – الحضارة الأندلسية.

Abstract:

The Andalusian experience represented a unique and exceptional Islamic and human experiment in the civilizational management of communal living among adherents of the three heavenly religions. The Islamic conquest of Al-Andalus was an exceptionally humane and civilizational conquest, liberating the Iberian Peninsula from religious and political persecution, economic exploitation, and social oppression under the Catholic Visigothic regime. It transitioned into a new era, a new civilizational experience under Islam, spanning eight centuries. Throughout this period, all segments of Andalusian society, its sects, and races enjoyed various

rights and freedoms ensured by Islamic law, characterized by moderation, tolerance, acceptance of diversity, and pluralism.

The cohabitation, coexistence, intermingling, and harmony between Muslims, Christians, and Jews were secrets to societal peace and the cultural brilliance of Andalusian society, encompassing its various ethnic and religious components. This coexistence and interaction manifested in all spheres of political, social, religious, intellectual, and economic life, from the embryonic moments of the Islamic conquest, continuing to evolve and flourish through the eras of the Islamic state in Andalusia. Individuals from diverse religions and races, including Muslims, Christians, Jews, Arabs, Berbers, Iberians, Sub-Saharan Africans, and others, contributed to building Andalusian civilization and achieving its scientific, intellectual, political, economic, and social accomplishments. This was due to the remarkable religious and civilizational tolerance exhibited by Islamic rule in Andalusia, astonishing both ancient and contemporary observers alike.

Therefore, the experience of religious and civilizational cohabitation in Andalusia remains a worthy and sustainable civilization to consider in guiding humanity towards a secure future built on the values of coexistence and tolerance, not on the values of hatred and aggression.

Keywords: AlAndalus - Religious Coexistence - Tolerence - Three religions - Andalusian Civilization.

المقدمة:

تعد مشكلة التعايش الديني من أخطر المشكلات التي تواجهها البشرية في الزمن الراهن. وتتخذ هذه المشكلة مظاهر شتى، تتراوح ما بين انتشار خطابات الكراهية الدينية، وانتشار أعمال العنف المادي والرمزي ضد الأقليات والرموز الدينية في البلد الواحد أو في عدة بلدان، بل تصل في بعض الأحيان إلى انتشار التوترات الدينية في بقاع مختلفة بين الدول المنتمية إلى منظومات دينية أو مذهبية مختلفة، والتي يتطور بعضها إلى حروب تكتوي بنارها الشعوب والبشرية ككل. وأمام أهوال هذه المشكلة وآثارها المدمرة، ترتفع أصوات الحكمة من الهيئات والمنظمات والقيادات الدينية داعية إلى الالتزام بقيم التعايش والتسامح على أرضية الأخوة الإنسانية المشتركة التي تجسدها الأديان السماوية المتحدة في رسالتها إلى التعايش والتسامح، وعلى أرضية المبادئ الإنسانية المشتركة التي تجسدها المواثيق الإنسانية الدولية.

وفي سياق البحث التاريخي والحضاري، وعلى الرغم من هيمنة الوقائع والتوترات والحروب ذات الصبغة الدينية والطائفية والحضارية على فصول التاريخ العالمي المدون والمتداول عبر العصور؛ تأبى الحضارة الإسلامية إلا أن تقدم للبشرية عبر فصول مشرقة من تاريخها دروسا ميدانية في تكريس قيم التساكن والتعايش والتسامح الديني، من خلال ما دونته من تجارب متعددة في ذلك بالمشرق والمغرب، مستلهمة القيم والمبادئ الإسلامية التي جاءت بها الرسالة المحمدية، وفي مقدمتها حرية المعتقد الديني، مصداقا لقوله تعالى: (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(البَقَرَة: 256)، وقوله عز وجل: (وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ")(الكَهۡف : 29).

وفي هذا السياق، يكتسي الحديث عن التجربة الحضارية الأندلسية من خلال موضوع "الأندلس: التسامح والتعايش الديني في خدمة السلم المجتمعي مقاربة تاريخية"، أهمية تاريخية كبرى، وراهنية ملحة، لعدة اعتبارات، من أهمها:

- إجماع الباحثين المنصفين من مختلف الأديان على خصوصية التجربة الأندلسية، باعتبارها تجربة متميزة في التاريخ الإنساني والإسلامي في تنزيل قيم التسامح والتعايش على مسرح التاريخ، لتتحول بذلك من مجرد أفكار ومبادئ نظرية إلى ممارسة سياسية واجتماعية وثقافية، استظل بظلها كل بني آدم المنتمين إلى مختلف الأديان السماوية، تحت حكم الدولة الإسلامية.
- أهمية التجربة الأندلسية في التاريخ والحضارة الإسلامية بشكل خاص، باعتبارها تجربة رائدة في تجسيد التساكن والتعايش في المجال الإسلامي، من خلال تكوين مجتمع جديد متعدد الأعراق والثقافات والأديان فوق منطقة التماس الحضاري بين الإسلام والغرب، على امتداد ثمانية قرون.

- حاجة البشرية في الزمن الراهن إلى قراءة جديدة للتاريخ بمنظور إنساني كوني يسعى إلى ترسيخ قيم التعايش والتسامح والتساكن بين مختلف مكوناتها الدينية والعرقية والثقافية جمعاء، وتجاوز الأطروحات الصدامية من كل الأطراف.
- ازدياد معاناة البشرية في الزمن الراهن من مشكلات الكراهية والتطرف الناتجة عن سوء تدبير الاختلاف بين عدد من أتباع الديانات السماوية والمذاهب الدينية.

ومن ثم، فالبحث يسعى لمقاربة مشكلة التعايش الديني في الحضارة الأندلسية، وكيفية تنزيل قيم التسامح والتعايش والتساكن وتطبيقها عمليا في الدولة والمجتمع بين مختلف الفئات والطوائف الدينية والعرقية عبر تاريخ الأندلس الممتد عبر ثمانية قرون.

وذلك بالإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما أثر الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس على المجتمع الأندلسي بمختلف مكوناته الدينية والعرقية؟
- ما أبرز مظاهر التسامح والتعايش بين الأديان والأعراق في الدولة والمجتمع بالأندلس عبر تاريخها الطويل؟
- ما النتائج والآثار السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والحضارية التي ترتبت عن ذلك؟
- ما أهمية التجربة الحضارية الأندلسية في خدمة قيم التعايش والتسامح بين الأديان في عالم اليوم؟

وعلى ضوء ذلك، يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والحضارية، أهمها:

- تجديد النظر والاهتمام بالتجربة الاندلسية في التعايش والتسامح الديني
- إبراز أهم معالم التسامح والتعايش الديني بين مكونات المجتمع الأندلسي وأثرها في تحقيق التساكن والسلم المجتمعي.
- بيان أهم النتائج والآثار الحضارية المترتبة عن الالتزام بقيم التعايش والتسامح في التجربة الحضارية الأندلسية.
- إدراك أهمية التاريخ الحضاري للإمة الإسلامية في علاج مشاكل الإنسانية المعاصرة ومن أخطرها مشكلة الكراهية الدينية
- تعزيز الوعي بضرورة التعايش والتسامح الديني في العالم المعاصر، على ضوء التجربة الحضارية الأندلسية.

وستنتظم خطة البحث عبر مبحثين أساسيين وعناصر فرعية، معتمدا المنهج التاريخي عبر استقراء النصووالوقائع التاريخية الاندلسية وتحليلها وتصنيفها

المبحث الأول: الفتح الإسلامي وأثره على بنية المجتمع الأندلسي وإرساء آليات التعايش الديني والتسامح والتساكن الاجتماعي

منذ بزوغ فجر الإسلام، امتدت راية الفتوحات الإسلامية إلى بلاد المغرب من حدود مصر شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا. وما كادت طلائع الفاتحين تستقر بأقصى المغرب بطنجة ونواحيها، حتى لاح في الأفق شعاع الأمل بإمكانية عبور المضيق نحو شبه الجزية الإيبيرية، بطلب من أهلها المستضعفين لرفع قيود الظلم والاضطهاد عنهم من جهة، ووفاء بواجب تبليغ رسالة الإسلام لكل العالمين في كل الآفاق من جهة أخرى[1]. لتصبح بذلك الأندلس ليس فقط جزءا من خريطة الإسلام عبر ثمانية قرون منذ رمضان 92هـ/ 711م إلى غاية محرم 897هـ/1492م، بل أصبحت بحق جنة التسامح والتعايش وجوهرة الحضارة الإنسانية في العالم الوسيط، بعد أن استوعبت في بنيتها الحضارية حصيلة العطاء الحضاري الإنساني من المشرق والمغرب...لكن قبل ذلك كيف كانت أحوال الأندلس قبل دخول الإسلام إليها؟

1-1/ أحوال شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الإسلام:

كان المجتمع الإيبيري عند ظهور الإسلام يعيش وضعا متدهورا على مختلف المستويات[2]:

- **فعلى المستوى السياسي:** هيمنت الاضطرابات السياسية على البلاد بفعل مؤامرات القوط الغربيين بتواطؤ مع كبار رجال الدين والنبلاء ضد النظام الملكي. وكانت آخر فصول تلك المؤامرات، انقلاب الدوق لذريق Rodrigo على ولي العهد وريث العرش ابن الملك غيطشة (witiza)، واستبداده بالحكم دون الأسرة الملكية، مما أدخل البلاد في انقسام حاد بين المؤيدين والمعارضين[3].

---

[1] – سيمو، بهيجة، وحافظي علوي، حسن (وآخرون) (2018)، **الأندلس تاريخ وحضارة، التاريخ السياسي**، منشورات مديرية الوثائق الملكية، الدار البيضاء، المجلد الأول، 49.

[2] – الحجي، عبد الرحمن علي (1981)، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (ط2)**، دار القلم، دمشق، بيروت، 29-35؛ عنان، محمد عبد الله (1997)، **دولة الإسلام في الأندلس** (ط4)، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص31-34؛ مؤنس، حسين (2008)، **فجر الأندلس** (ط4)، دار الرشاد، القاهرة، ص58-59.

[3]-بدر، أحمد (1969)، **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها**، مطابع الأديب، دمشق، ج1، 4؛ عبد الكافي، محمود كامل (2015)، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 77-80.

- **وعلى المستوى الاجتماعي:** كان المجتمع الإسباني القديم يعاني من انقسام طبقي حاد، وما يترتب عنه من ظلم وقهر واستغلال. ولم يكن القوط باعتبارهم الطبقة الحاكمة أمة صالحة لحل الأزمات الاجتماعية وغيرها، بحيث لم يمتزجوا حقيقة مع باقي طبقات الشعب وفئاته، وظلوا يمارسون التسلط والتغلب على باقي مجمل الطبقات والعناصر. فكان مصير غالبية المجتمع الشقاء الاجتماعي وسوء الاستغلال... مما كرس الحقد الطبقي والاجتماعي والسياسي. وظلت غالبية السكان تتطلع للخلاص، وخاصة الطبقتين الوسطى والعامة، وأنصار النظام الملكي المنهار[1].

- **وعلى المستوى الديني:** عانت البلاد من عدم الاستقرار الديني ومن الاضطهاد العقدي الذي مارسته الفئات الحاكمة. فقد سعى القوط منذ احتلالهم لشبه الجزيرة الإيبرية إلى فرض المذهب الأريوسي بالقوة على حساب المذهب الكاثوليكي الموروث عن العصر الروماني، وعلى حساب اليهودية والوثنية. ولما تقرر اعتناق الكاثوليكية كشرط لتولي الملك في أواخر القرن السادس الميلادي، أجبر الملك ريكارد القوط على تغيير مذهبهم الأريوسي واعتناق المذهب الكاثوليكي بعد نحو ثلاثة قرون من اعتناقه. وصار لرجال الدين الكاثوليك ومجالسهم الكنسية سلطة تفوق سلطة الملك نفسه، وأصبح الشغل الشاغل لهؤلاء هو إصدار القوانين للتضييق على اليهود ومراقبة تنفيذها. فصار الملك مضطرا لذلك حفاظا على عرشه وضمانا لولاء الكنيسة ورجالها. وبلغ الأمر ذروته بصدور قرار ملكي سنة 613م يخير اليهود بين التنصير أو الهجرة...فاضطر كثير منهم إلى الهجرة، في حين تظاهر آخرون باعتناق المسيحية[2]. وواصل المجمع الكنسي تضييقه على اليهود سنة 633م بإصدار جملة من القرارات الجائرة[3]، في سبيل مواجهة ظاهرة ردة اليهود عن المسيحية، بلغت حد نزع الأطفال اليهود من أسرهم في السن السابعة وتسليمهم للكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية، واستعباد اليهود المرتدين عن المسيحية. فضلا عن استمرار مصادرة الممتلكات والاضطهاد4. وظل المجتمع الإيبري يعاني بحدة من تبعات الصراع الاجتماعي والديني العنيف. فكان من الطبيعي أن يعلق المضطهَدون آمالهم على أي طرف أو قوة يمكنها تخليصهم من ذلك الوضع، لا سيما إذا كان هذا الطرف هم المسلمون، وقد سبقتهم

---

[1] – دوزي، رينهارت (1994)، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1، 27–28؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص30**؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، 86–87.

[2] – دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج1، 38–39؛ مؤنس، **فجر الأندلس**، ص411.

[3] – مؤنس، **فجر الأندلس**، 411؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص95–96.

[4] – عنان، محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول**، القسم الأول، ص31؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص87–96.

أنباؤهم الحسنة عن معاملتهم المتميزة لنصارى ويهود الشام والمغرب. فما أثر الفتح الإسلامي على بنية المجتمع الأندلسي وسبل التعايش بينها؟

2-1/ الفتح الإسلامي للأندلس وتدشين مسار التسامح والتساكن والتعايش الديني

لم يكن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس مجرد فتح سياسي عسكري، امتدت بموجبه خريطة دولة الإسلام من المشرق إلى المغرب، ومن آسيا إلى إفريقيا، ثم إلى أوربا؛ بل كان فتحا حضاريا وتحريرا إنسانيا بكل معاني النبل والسمو الإنساني، ومنعطفا تاريخيا غير مسبوق، انتقل بموجبه المجتمع الإيبري من عصر الظلام والاضطهاد والاستغلال، إلى عصر الحرية والكرامة الإنسانية بأقدس معانيها. برزت ملامح العصر الجديد بالأندلس منذ أن وطأت أقدام الفاتحين تلك البلاد، فاستبشر جل الأهالي بالوافدين الجدد، ووجد طارق بن زياد وجماعته الترحيب والمؤازرة من المضطهَدين سياسيا الذين اغتصب منهم ملك أبيهم، ومن المضطهَدين دينيا وفي مقدمتهم اليهود، ومن المستضعفين اجتماعيا واقتصاديا من الرقيق ومن الطبقة الوسطى، ومن كل المتطلعين إلى العدالة والمساواة والحرية.

ولعل اصطفاف اليهود إلى جانب الفاتحين المسلمين خلال مراحل الفتح[1]، لدليل قاطع على الديني من النظام القوطي الكاثوليكي الاضطهاد حجم معاناتهم منمن جهة، كما أنه دليل قاطع أيضا على اعتقادهم بعدالة الإسلام وقدرة المسلمين على الالتزام بتلك العدالة. فكان المسلمون كلما حاصروا مدينة وافتتحوها ووجدوا بها يهودا، انضموا إليهم، وكلفوهم بحراسة تلك المدن إلى جانب الحاميات الإسلامية. هذا ما حصل في فتح إلبيرة وغرناطة وقرطبة وإشبيلية وطليطلة، حتى قال ابن الخطيب: "وصار لهم سنة متبعة متى وجدوا المدينة فتحوها يهودا، يضموهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها"[2]. ثم يمضي الجيش إلى فتح غيرها. ويقول ابن عذاري عن فتح عاصمة القوط طليلطة: "وألقى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود، وخلى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة"3. وإذا كان اليهود قد وجدوا في بالمسلمين ملاذا آمنا للتخلمن الاضطهاد القوطي المسيحي، فإن الفاتحين المسلمين بتعاونهم معهم واحتضانهم لهم قد جسدوا الالتزام الأمثل بمبدأ

[1]– مؤنس، **فجر الأندلس**، 412.

[2] – ابن الخطيب، لسان الدين (د ت)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ج1، 107.

[3]– ابن عذاري المراكشي (1980)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** (ط2)، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص12.

التعايش الديني المبكر في تجربة ستكون حافلة بالعطاء الحضاري الناتج عن التدبير الأمثل للعيش المشترك بين الجميع.

هذا الموقف التاريخي الذي اعتمده المسلمون الأوائل بالأندلس في حق اليهود، وازاه موقف مماثل من المكون الديني الآخر بشبه الجزيرة الإيبرية، وهو المكون المسيحي. ومن المواقف العظيمة التي خلدها التاريخ في هذا السياق منذ اللحظات المبكرة للفتح الإسلامي، تحالف حاكم سبتة يوليان –الذي كان تابعا لمملكة القوط وكنيستها– مع القائد طارق بن زياد وتعاونه معه لفتح الأندلس، وإقرار المسلمين لهذا الحاكم الحكيم على عرشه بمدينة سبتة[1]. ثم جاء موقف أبناء الملك غيطشة بتحالفهم مع المسلمين في معاركهم الأولى بالأندلس ضد مغتصب ملكهم الدوق لذريق، وفق عهود والتزامات تمت بينهم وبين الفاتحين المسلمين[2]. في ظل هذه الأجواء، أقدم الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير (ت 94هـ/713) على الزواج بأرملة الحاكم القوطي لذريق المسماة إيخلونا egilona 3، والتي أصبحت المصادر الإسلامية تلقبها بأم عاصم؛ مفتتحا بذلك عصرا جديدا يتجاوز التحالف السياسي والتعايش الديني، إلى التساكن الاجتماعي العاطفي والمودة والرحمة والسكن بين المسلمين والذميات من النصارى تحت سقف الأسرة الواحدة المختلطة دينيا، خاصة وأن الفاتحين لم يكونوا مرفوقين بالنساء المسلمات، مما فتح باب الزواج المختلط على أوسع أبوابه. وهو ما سيترتب عنه هندسة وراثية جديدة للمجتمع الأندلسي وفتح لمسار التعايش والتساكن الشامل بين أهل الديانات السماوية بالأندلس.

أصبح المجتمع الأندلسي إثر النجاح السريع للفتح الإسلامي من الناحية السياسية، وسلاسة الاندماج الاجتماعي عبر الزواج المختلط، وتبادل المنافع والمصالح والمثاقفة بين مختلف الجماعات، وتوالي تيارات الهجرة من المغرب والمشرق، عبارة عن منظومة متعددة المكونات الإثنية والدينية واللغوية والثقافية، تتعايش في انسجام وتناغم اجتماعي وديني عز نظيره في بلاد الدنيا بأسرها خلال العصر الوسيط. فأصبحت بفضل ذلك الأندلس موطنا للتعايش الديني، والتساكن الاجتماعي، والتلاقح الثقافي والحضاري.

[1] – عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص34–35.

[2] – ابن القوطية (1989): **تاريخ افتتاح الأندلس (ط 2)**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة– دار الكتاب اللبناني بيروت، ص29–30.

[3] – مؤلف مجهول (1989)، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم** (ط2)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة– دار الكتاب اللبناني بيروت، ص27.

3-1/ بنية المجتمع الأندلسي: مرآة التسامح والتساكن والتعايش

أصبح المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي مجتمعا متعدد الأعراق والديانات، حيث شمل المسلمين واليهود والمسيحيين، فضلا عن أعراق متعددة. وهي بنية مركبة كانت تفرض في حد ذاتها مستوى معينا من التعايش والتساكن لتحقيق السلم المجتمعي. وهو المستوى الذي تحقق بشكل مثالي للمجتمع الأندلسي. وفيما يلي أهم تلك المكونات:

أولا: المسلمون، ومنهم:

- **العرب**[1]:

هم أهم مكونات المجتمع الأندلسي بعد الفتح. تشكلت نواتهم من القيسية واليمينة الذين قدموا مع موسى بن نصير، ثم توافدت بعثات الشاميين وغيرها على مراحل. استقروا بأهم الحواضر والبوادي الأندلسية، فعمروها وطبعوها بطابعهم الحضاري...وعلى الرغم من أنهم كانوا بمثابة أسياد البلاد وملوكها، إلا أنهم ظلوا متساوين مع بقية السكان في الحقوق والواجبات2. وأسهمت السياسات المتبعة عموما في تدعيم الشعور لديهم بالانتماء إلى الوطن الجديد أي الأندلس والانخراط في معركة بنائه الحضاري3.

- **الأمازيغ:**

شكلوا المفتاح الأساس للوجود الإسلامي بالأندلس، بحكم دورهم الحاسم في معارك الفتح منذ العبور الاستكشافي الأول تحت قيادة طريف بن زرعة المصمودي؛ ثم خلال العبور الرسمي للفتح بقيادة طارق بن زياد، الذي أجاز البحر في حوالي عشرة آلاف من البربر وثلاثمائة من العرب4. ثم تعزز وجود الأمازيغ تدريجيا عبر الهجرات المتتالية إلى الأندلس، حتى أصبحوا فاعلا أساسيا في تاريخها السياسي والاجتماعي والفكري والحضاري[5]... وكان لهم دور بارز في تجديد دورتها التاريخية والحضارية في منتصف عمرها بعدما تسربت إليه عوامل الوهن والضعف خلال عصر الطوائف التي

[1] - سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، ص16.

[2] – عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص107.

[3] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، ص18.

[4] – كولان، جورج (1980)، **الأندلس**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة، ص108.

[5]– Provençal, L (1950), **Histoire de L'Espagne musulmane**, Maisonneuve, Paris, Tome III, p.167.

كادت تودي بها إلى السقوط المبكر، بتنفيذ مشروع الوحدة السياسية مع المغرب الأقصى في العصر المرابطي والموحدي.

ثانيا: المسلمون الجدد أو المولدون:

شكل هؤلاء عنوان الاندماج الاجتماعي والديني في الأندلس. وهم الإسبان الأوائل الذين أسلموا بعد الفتح، وعرفوا باسم "المسالمة" أو "المسلمون الجدد الإسبان"، واشتهروا باسم"المولدين". معظمهم من أصول قوطية مؤلفة من أجناس إيبيرية وقشتالية وجليقية وأراغونية، وكذا من بعض اليهود الذين حسن إسلامهم بعد الفتح. وانضاف إليهم جيل جديد من الأبناء الذين كانوا نتاج تزاوج العرب والمسلمين عموما بالفتيات والنساء الإسبانيات. وأصبحوا يشكلون غالبية المجتمع الأندلسي في العهد الأموي[1]. اندمج المولدون خلال فترة قصيرة في المجتمع الإسلامي، فأقبلوا على الإسلام واللغة العربية، ووقع استعرابهم بشكل شبه كامل خلال العصر الأموي[2]. ومن مظاهر اندماجهم المبكر مع العرب، اتخاذ بعضهم أسماء وألقاب عربية. وانصهارهم معهم عبر الزواج حتى نسي بعضهم أصله الإسباني. وكانت أوزان ألقابهم شبيهة بألقاب الأندلسيين بانتهائها بحرفي: الواو والنون. واحتفظ آخرون بألقابهم الإسبانية مع تكييفها مع اللسان العربي مثل: ابن بشكوال، ابن قسي[3]... وأسهموا بشكل كبير في تدعيم التوافق والانسجام المجتمعي، حيث توزعت جموعهم بين مختلف المدن والقرى، وعبر مختلف القطاعات الاقتصادية، والجيش... مما قلمن أثر النزعة العصبية التي رافقت العناصر القبلية العربية إلى الأندلس[4].

ثالثا: الصقالبة:

من العناصر المهمة في المجتمع الأندلسي. وهم فئة العبيد البيضان الذين جلبوا في ظروف الحرب أو السلم من بلدان أوربا السلافية أولا، ثم من الممالك المسيحية شمال الأندلس لاحقا، وكان"منهم مجوس ومنهم نصارى"5. وعرفوا في المصادر العربية ب "الفتيان"[6] والروم والحشم

---

[1]– كولان، **الأندلس**، 92

[2]– المصدر السابق، 92–93.

[3] – op.cit.,p.185.،Provençal,(L)

[4] – كولان، **الأندلس**، 92–93؛ سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 31.

[5] – ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (1350هـ)، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنسباء العرب والعجم**، نشره حسام الدين القدسي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350هـ، 35؛

[6] – ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ج2، 364.

والعلوج[1]. وقد حرالحكام الأمويون على تنشئتهم تنشئة إسلامية[2]، وكانوا يعطفون عليهم ويوصون المسؤولين والعامة بذلك، رغم ما يصدر عنهم من مخالفات. فقد ذكر ابن عذاري أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كان يقول عنهم: "هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم، وترفق في معاملتهم"[3]. وقد تزايدت أعدادهم في العهد الأموي حتى أصبحوا ذوي نفوذ كبير في عهد الخلافة خاصة في القرن الرابع الهجري (10م). وفي العصرين المرابطي والموحدي تم توظيفهم في الجهازين العسكري والجبائي. وتركوا بصمات واضحة في المجتمع والحضارة الأندلسية لنوعية الوظائف التي كانوا يتولونها كالحرس الخاللخلفاء، وخدمة الحريم والأعيان والوجهاء...[4]

رابعا: أهل الكتاب المسيحيون:

كانت المسيحية هي الديانة الأكثر انتشارا في شبه الجزيرة الإيبرية قبل دخول الإسلام. لذلك، كان طبيعيا أن تكون أغلبية السكان من النصارى أو المسيحيين. وقد عامل المسلمون المسيحيين الأهالي وفق أحكام الإسلام السمحة، حيث احتفظ الذين أسلموا منهم بممتلكاتهم وأراضيهم. وسمح لغيرهم من الذين لم يسلموا بحق ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية. وعرف هؤلاء بالمستعربين في الأدبيات الكنسية[5].

استفادت هذه الفئة من التسامح الكبير الذي طبع علاقة المسلمين بها، وتمتعت باستقلال ديني خاداخل دولة الإسلام بالأندلس، تحتكم إلى شريعتها المسيحية عبر قضاء خابها، وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية في كنائسها المنتشرة في كل حواضر البلاد، وحظيت طقوسها باحترام كبير من المسلمين[6]... واعترافا بأهمية هذه الفئة في المجتمع، أحدثت الدولة تنظيما خاصا بها تحت رئاسة أسقفية طليطلة التي تولت رئاسة الأسقفيات الأندلسية7. كما أحدثت منصب القومس ليكون مرجعهم في الشؤون الدينية. وقدم الخليفة الناصر نموذجا رائدا في رعاية هذه الفئة الدينية، فكان يجتمع

---

[1] – القادري بوتشيش، إبراهيم (1988)، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** (ط1)، دار الطليعة، بيروت، 46.

[2] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، ص31.

[3] – ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ج2، ص359.

[4] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، ص35.

[5] – ابن عبود، امحمد (1999)، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري** (ط2)، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية وجمعية تطاون أسمير، تطوان، 75؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص111.

[6] – ابن بسام الشنتريني (1979): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ط2)**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، القسم –1، المجلد 2، ص705.

[7] – كولان، **الأندلس**، 95.

بأساقفة إشبيلية وإلبيرة وغيرها من المدن، ويسألهم عن أحوالهم ويتفقد شؤونهم دون وسائط...ونعم المستعربون في عهده بالعدالة والمساواة. وتمتعوا بنفوذ اجتماعي كبير. كما شغل بعضهم مناصب مهمة في الدولة[1]. وتوسع نفوذ المستعربين في عصر الطوائف، مستفيدين من ظروف التسامح السائدة التي نوه بها بعض المستشرقين رغم شدة تحاملهم على المسلمين[2]. فربطوا علاقات وطيدة مع بعض أمراء الطوائف.

وخلال عصر المرابطين والموحدين، وعلى عكس ما ذهبت إليه بعض الأبحاث من اتهام لهؤلاء بالتشدد في معاملة الذميين؛ فإن الأدلة التاريخية لا تعوزنا في تأكيد استمرار نفوذ المسيحيين في المجتمع والدولة بالأندلس والمغرب معا، واتساع دائرة الزواج المختلط بالكتابيات حتى شملت جملة من الأمراء في الدولتين معا. ومن تجليات ذلك أيضا، إدماجهم من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين في الجيش بالأندلس والمغرب، وكذا في جهاز جباية الضرائب، بل شكل منهم حرسه الخاص، تعبيرا عن الثقة العليا فيهم[3]. وتمتع المسيحيون بحرية التدين والعبادة في العصرين المرابطي والموحدي، ولم يتم إكراه أحد على اعتناق الإسلام. وتمتعوا بالعدالة الاجتماعية في أحسن صورها. وشجعت سياسة إنصاف المظلومين منهم على تعميق التعايش والتسامح، ودعمت الاندماج بينهم وبين المسلمين[4].

وشملهم مبدأ المساواة أمام القانون الذي ظل هو المؤطر للعلاقة بين الطرفين. فقد جاء نصارى غرناطة يشتكون عاملها لأمير المسلمين علي بن يوسف، فأدلوا بحججهم في ظلمه لهم، فقام الأمير بسجنه حتى أنصفهم من ظلاماتهم[5]. وسمح المرابطون للمسيحيين ببناء كنيسة لهم بعاصمة الدولة مراكش، فضلا عن الأندلس. ولعل بعض حالات الاصطدام مع هذه الفئة تجد تفسيرها في بعض المواقف والمخالفات السياسية لهذه الأخيرة. ومن ذلك موقف معاهدة غرناطة المتمثل في تآمرهم مع بني ملتهم بقشتالة على المرابطين في عهد علي بن يوسف. ورغم ذلك، فقد اكتفت الدولة بتغريبهم إلى المغرب الأقصى بفتوى من الفقيه ابن رشد الجد. وهو حكم يعتبر غاية في المرونة واللين، خاصة وأن الأمر كان يتعلق بتحالف مع أعداء الدولة في الخارج. ولعل مبادرة ابن رشد بالعبور إلى مراكش للقاء المباشر بأمير المسلمين علي بن يوسف قد جاء –ربما– لقطع الطريق أمام

---

[1] – ابن حيان (1979)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** (عهد عبد الرحمن الناصر)، المعهد العربي الإسباني، مدريد، ج5، ص468.

[2] –Dozy, (R.) (1981): **Recherche sue l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant Le moyen Age**, Leiden, Brill,p.48.

[3] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 41.

– كولان، **الأندلس**، 4.93

[5]–ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج4، 77.

المتشددين من الفقهاء، حتى لا تصدر فتوى بقتل النصارى المعاهدين، فيؤخذ البريء المغرر به بجريرة الجاني[1].

وعلى نفس المنهج صارت دولة الموحدين، حيث أصبح استخدام المسيحيين في الجيش عادة متأصلة منذ دخولهم مراكش، وحتى نهاية دولتهم[2]. وتمتع المسيحيون في ظلهم بحقوقهم الدينية والمدنية، فسمحوا لهم ببناء كنائس جديدة بربوع الأندلس، وبمراكش عاصمة الدولة كذلك. وبالإضافة الى الخدمة في الجيش، اعتمدت الدولة الموحدية على الروم في جباية الضرائب والإشراف على مشاريع البناء وإصلاح المرافق العمومية...فضلا عن تعاطيهم لمهن مختلفة، مما مكنهم من الاندماج والتساكن والتعايش مع كل فئات المجتمع. وتعزز نفس النهج من الاندماج والتعايش والتمكين لهذه الفئة ضمن نسيج المجتمع الأندلسي حتى عهد بني نصر، فاتخذ منهم السلطان محمد الخامس حرسه الخاص، مما يعني ثقته التامة فيهم. كما استمرت حظوة النساء الروميات ضمن البلاط الحاكم، فضلا عن استمرار التعايش الثقافي بإقبال الروم على الثقافة واللغة العربية، وإقبال المسلمين على تعلم اللغات والثقافة الأجنبية[3]. فاستمر بذلك الوفاء لخط التعايش والتساكن الذي دشنه المسلمون مع المسيحيين بالأندلس منذ الفتح حتى نهاية مملكة غرناطة عبر ثمانية قرون.

خامسا: أهل الكتاب اليهود:

تمتع يهود الأندلس تحت حكم المسلمين بالأمن الروحي والاستقرار السياسي والرفاه المادي والاندماج الاجتماعي والثقافي... فمارسوا شعائرهم الدينية في بيعهم بكل حرية عبر عصور دولة الإسلام بالأندلس، ومارسوا أنشطتهم التجارية والصناعية كالصيرفة وصياغة المعادن النفيسة، ومهنا أخرى كالطب والصيدلة، وأشركوا في جهاز الضرائب والسلك الديبلوماسي والجهاز الإداري...فأصبح لهم وزن سياسي واجتماعي وديموغرافي وتأثير اقتصادي كبير، كما نبغ منهم علماء ومفكرون في علوم الدين والدنيا[4].

وارتباطا بالجانب العقدي من حياتهم، فقد كان اليهود أول المستفيدين من مناخ التسامح والحرية الدينية الذي طبع تاريخ الأندلس، اعتبارا لما تعرضوا له من اضطهاد قبل الفتح من النظام القوطي المسيحي[5]. فتعددت بيعهم ومعابدهم، وكثر علماؤهم وتنقل أحبارهم بكل حرية في حواضر الأندلس كغرناطة وقرطبة وطليطلة وغيرها للقيام بوظائفهم الدينية. وأصبحت مدينة أليسانة من أهم مراكز

[1]– سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 44.

[2] – المرجع السابق، ص47–48.

[3]– سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 48.

[4] – كولان، **الأندلس**، 96؛ سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 49–54.

[5] – عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، 112.

الدراسات التلمودية بفضل الحبر اليهودي إسحاق الفاسي (ت497هـ) خلال عصر الطوائف والمرابطين[1].

وتواصلت رعاية هذه الفئة من أهل الكتاب عبر تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى عهد بني نصر في العصر الأموي بمراحله المختلفة، وكذا في عصر الوحدة المغربية الأندلسية، وصولا إلى عصر بني نصر، رغم أن بعض الأقلام اتهمت المرابطين والموحدين بالتشدد في معاملة أهل الذمة عموما واليهود خاصة. لكن حقيقة الأمر غير ذلك. فقد اتخذ المرابطون من أحبار اليهود مخاطبا رئيسيا في الحواضر الأندلسية الكبرى كغرناطة وأليسانة...، مما يدل على تقديرهم الخالهذه الفئة وحماية حق اليهود في ممارسة شعائرهم الدينية. ومارس القضاة اليهود وظيفتهم باستقلالية تامة في الحكم بين اليهود دون تدخل من الحكام المسلمين؛ إلا إذا تعلق الأمر بالنزاع بين يهودي ومسلم، فيكون الفصل في ذلك بيد القضاء الإسلامي. وكثيرا ما كان اليهود يفضلون التقاضي لدى القضاة المسلمين إيمانا منهم بعدالة القضاء الإسلامي. وخلال عصر الموحدين عرف مذهب القرائين التوراتيين بالأندلس والمغرب انتعاشا ملحوظا مما يفند القول الشائع باضطهاد الموحدين لليهود[2].

وعلى ذكر مملكة غرناطة النصرية ورعايتها للطائفة اليهودية على عكس التيار العام للاضطهاد الذي كان يستهدفها في الممالك المسيحية المجاورة، فقد سجل التاريخ قيام السلطان محمد الخامس في إحدى حملاته على مدينة جيان سنة 769هـ/1367م بافتكاك ما يناهز ثلاثمائة (300) أسرة يهودية قشتالية من الاضطهاد المسيحي، فأنزلها بغرناطة ونواحيها3. كما استقبلت مملكة غرناطة النصرية عددا كبيرا من اليهود الفارين من الممالك المسيحية، حيث كان الاضطهاد المسيحي متواصلا ضدهم، بالتنصير أو التصفية الجسدية...4 وهكذا، استفاد اليهود من مناخ التسامح الديني الذي ساد عبر تاريخ الأندلس. ورغم طابع الانغلاق والاحتراز الذي ميزهم اجتماعيا، فإن الانفتاح والتعايش في كنف الدولة المركزية بالمغرب والأندلس، قد مكنهم من التخلي تدريجيا عن تلك النزعة، وجعلهم يقبلون على السكن مع غيرهم في الأحياء السكنية المشتركة.

وإجمالا، شكلت الأندلس –بتعبير حسين مؤنس– جنة اليهود خلال العصور الوسطى كلها. ومن عجائب التاريخ، أن ارتبط مصيرهم بمصير المسلمين بالأندلس، حيث أظلهم الإسلام وأنقذهم من تسلط القوط والكنيسة، وبسط عليهم الأمن والأمان. وكان زوال سلطان المسلمين من الأندلس،

[1] – بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص106.

[2] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد الثاني، 52.

[3] – المصدر السابق، ص54.

[4] – الطوخي، أحمد محمد (1997)، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص144–145.

إيذانا أيضا بزوال أمر اليهود منها أيضا[1]، حيث خضع معظم الأندلسيين من المسلمين واليهود إلى الهجرة القسرية إلى المغرب.

المبحث الثاني: مظاهر التسامح والتعايش الديني وأثرها في خدمة السلم المجتمعي والبناء الحضاري للأندلس:

تعددت مظاهر التسامح والتعايش الديني في المجتمع الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس، وانعكس ذلك بشكل إيجابي على المجتمع والحضارة الأندلسية. فقد أتاحت أجواء التسامح والتعايش برعاية رسمية من السلطات الإسلامية المتعاقبة، الفرصة أمام مختلف مكونات المجتمع الدينية للإسهام في خدمة السلم المجتمعي والبناء الحضاري للحضارة الأندلسية في مختلف المجالات العلمية والثقافية والعمرانية...والتي شكلت جسرا لعبور المعارف والعلوم وأنماط وأساليب التمدن والتحضر إلى بلدان أوربا الغربية ومن ثم إلى العالم ككل. وفيما يلي إضاءات على أبرز تجليات التعايش الديني وآثارها:

1-2/ تقنين التعايش والتسامح من خلال الوفاء بالعهود الإسلامية لأهل الذمة

عبر المسلمون منذ اللحظات الأولى للفتح عن التزامهم بسماحة رسالة الإسلام التي يحملونها إلى العالم، فاستوعبوا كل الأجناس والأديان والثقافات، وعبروا عن احترامهم لهويات الآخرين وحمايتها بحكم الدين والقانون. وفي هذا الإطار يقول أحد المستشرقين: "لم يحظ أي شعب مغلوب في أي قطر من الأرض...بما حظي به الشعب الإسباني إبان حكم المسلمين من تسامح تجلى في تطبيق العهود والقوانين الإسلامية التي أعطت لأهل الكتاب حقوقا كاملة في العيش الكريم"[2]. وتجليات ذلك واضحة في التاريخ الأندلسي منذ الفتح إلى آخر عهد بني نصر. ولعل معاهدة طارق بن زياد مع أبناء الملك غيطشة كانت أول معاهدة في تاريخ الأندلس بين المسلمين والمسيحيين، حيث التجأ أبناء الملك إلى القائد المسلم طارق بن زياد، وهم في صفوف الجيش الإسباني، واتفقوا معه على انسحابهم منه، مقابل رد ممتلكات والدهم إليهم وضمان أمنهم وذويهم في حال ظفره على حساب لذريق. ولما تحقق النصر لصالح المسلمين، التزم طارق بن زياد بذلك العهد مع أبناء الملك، بل زاد من تأكيده وتوثيقه وضمان شرعيته واستدامته، فوجههم إلى الوالي موسى بن نصير ومعهم كتاب العهد الذي عقد طارق معهم. وبدوره عبر موسى بن نصير عن التزامه بالعهد معهم؛ ووجههم إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق، ف"أنفذ لهم عهد طارق" ونالوا عنده إكراما خاصا، وعقد لكل واحد منهم سجلا، فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة، فاقتسموها بينهم، وهي

[1]-مؤنس، **فجر الأندلس**، ص413.

[2]- Peres, (Henri) (1937), **La Poésie Andalouse en Arabe classique au XI siècle**, Paris, p.274

التي سميت ب"صفايا الملوك"[1]. ولم يذكر أن المسلمين فرضوا على هذه الضياع ضرائب أو عشورا. بل كانت صافية خالصة لهؤلاء[2].

أما النموذج الثاني من هذه المعاهدات المبكرة، فهو معاهدة طارق بن زياد مع قائد إستجة الذي قاتل المسلمين بشدة، "حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين". ورغم تمكن طارق من القبض عليه، فإنه لم يسع إلى الانتقام منه على شدة مقاومته، بل عامله معاملة الأسير في شريعة الإسلام، بل صالحه على ما أحب، وضرب عليه الجزية، وخلى سبيله، فوفى بما عهد عليه[3]. ضاربا بذلك مثالا رائعا على تسامح المسلمين وقدرة التشريع الإسلامي على ضمان التعايش والتسامح مع أهل الذمة في الحرب والسلم، في إطار علاقة تعاقدية قانونية تجمع بين الحقوق والواجبات المتبادلة.

ومن معاهدات الصلح التي أشرف عليها الوالي موسى بن نصير بعد التحاقه بالأندلس، معاهدته مع أهل ماردة، حيث صالحهم وضمن أمنهم وحريتهم الدينية وحريتهم في البقاء أو المغادرة. فمما جاء في هذه المعاهدة حسب المؤرخ الرازي، قوله: " فذهبوا (أهل ماردة) إليه، وقالوا إنهم يتركون له كل ما كان لمن مات منهم ومن جرح (في القتال) وممتلكات الكنائس وما فيها، وكذلك ما تحويه من الأحجار الكريمة وغيرها من الأشياء الطيبة وكل ممتلكات رجال الدين. وبعد أن تم التوقيع على ذلك في عهود صحيحة (مؤكدة) فتحوا له الأبواب وأدخلوه البلد وأسلموه إياها، ولم يمس المسلمون من أقام في البلد من النصارى بأذى، وأما من أراد ترك البلد منهم فتركوه يمضي دون أذى..."[4]. كما عقد إبنه الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير مع أهل تدمير (مرسية القديمة) معاهدة صلح يعتبر نموذجيا لعقد الذمة بالأندلس، ومما جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم " كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش، إنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يقتلون، ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم، ولا نسائهم، ولا يكرهوا على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبّد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه. وأنه صالح على سبع مدائن أوريوالة، وبلنتلة، ولقنت، ومولة، وبقسره، وأيّه ولورقة. وأنه لا يؤوي لنا آبقا، ولا يؤوي لنا عدوا، ولا يخيف لنا آمنا، ولا يكتم خبر عدو علمه، وأن عليه وعلى أصحابه دينارا كل سنة وأربعة أمداد قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط طلاء (عصير العنب المطبوخ)، وأربعة أقساط خلّ، وقسطي عسل، وقسطي زيت

[1] – ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الاندلس**، 30؛ المقري، شهاب الدين (1968)، **نفح الطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، ص258، ص265–266.

[2] – عبد الكافي، **التسامح الديني**، 130.

[3] – المقري، **نفح الطيب**، ج1، 260.

[4] – مؤنس، **فجر الأندلس**، 36؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس، ص**132–133.

وعلى العبد نصف ذلك. شهد على ذلك عثمان ابن أبي عبدة القرشي، وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهري وأبو قائم الهذلي، وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة"[1].

وهكذا، اعتبر العقد أن أهل تدمير هم في ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقد تضمن العقد بيان الحقوق التي ضمنها المسلمون لأهل الذمة، وهي: حماية أرواحهم وممتلكاتهم واطمئنانهم النفسي والاجتماعي بعدم إخافتهم وعدم تفريق أسرهم، واحترام دينهم وحماية دور عبادتهم، فضلا عن عدم إكراههم على الإسلام، كل ذلك مقابل أداء جزية بسيطة نقدية وعينية فرضت على الأحرار منهم دون العبيد، حيث أعفي منها النساء والأطفال والرقيق والرهبان وكل أصحاب العاهات والإعاقات، وجعلوا جمع الجزية بيد موظفين من المسيحيين أنفسهم[2].

وظل عقد الذمة ساري المفعول عبر تاريخ الأندلس حتى عهد المرابطين والموحدين[3]. مما يؤكد سماحة الإسلام والتزام المسلمين بتوجيهات دينهم في معاملة أهل الذمة. ولا يسمح المجال باستعراض عهود تاريخية أخرى مماثلة عن معاملة المسلمين المثالية للأهالي المسيحيين خلال الفتح وعبر تاريخ الأندلس، مما يسر عملية الاندماج والتعايش بين المسلمين والمسيحيين، بل شكل ذلك عامل استقطاب لعدد من المسيحيين للدخول في الإسلام. فكان ذلك من أسباب التمكين لثقافة السلم المجتمعي.

2-2/ السعي إلى ترسيخ السلم الدولي عبر عقد معاهدات السلم مع ممالك النصارى

لم تكن سياسة المسلمين السلمية فقط مع مسيحيي الداخل أي الأندلس، بل امتدت لتؤطر العلاقة مع المسيحيين في الممالك المجاورة بالشمال كقشتالة وغيرها. ومن ذلك نذكر معاهدة عبد الأمير الرحمن الداخل مع قشتالة، التي جاء فيها:"بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن للبطارقة والرهبان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من سائر البلدان. كتاب أمان وسلام. وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ألف درع

[1] – ابن عميرة الضبي، أحمد بن يحيى (1967)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، 274؛ حمادة، محمد ماهر (1986)، **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية** (ط2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص120-121.

[2] – أرنولد، توماس (1971)، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ص157.

[3] – شحلان، أحمد (2006)، **التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ص23.

وألف بيضة ومثلها من الرماح، وفي كل عام إلى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة"[1].

وتؤكد مراسلات أخرى حرملوك وأمراء الأندلس على تبادل السفارات مع ملوك النصارى في سبيل توثيق علاقات الود والصداقة بين الدول المسيحية والإسلامية. ومن ذلك ما عبّر عنه الأمير عبد الرحمن الأوسط (206–238هـ) من تجاوب كبير مع امبراطور البيزنطيين ثيوفلس، الذي وجه إليه رسالة لتجديد المودة والصداقة بين المملكتين البيزنطية والأموية الأندلسية. فقد جاء في الرسالة الجوابية لأمير الأندلس: "وأما ما رغبت من مودتنا، وأحببته من مصادقتنا، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه، مما كان عليه أولوك لأولينا، فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا، وأن نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم عليه"[2]. ويزيد في نفس الرسالة تأكيد الصداقة بقوله: "وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا، وعن كل ما يحب لصديق أن يعرفه من حال صديقه"3. ومعلوم أن هذه الرسالة كانت تحكمها خلفية سياسية دقيقة تتمثل في توطيد التحالف البيزنطي الأموي الأندلسي على حساب الدولة العباسية باعتبارها طرفا سياسيا يعادي الطرفين معا.

3– 2/ حماية الحقوق والحريات الدينية لأهل الذمة

وهو عنوان التعايش والتسامح الديني مع أهل الكتاب المسيحيين واليهود بالأندلس. فقد ضمن الحكم الإسلامي منذ بداية الفتح حق حرية الاعتقاد والتدين للأهالي المسيحيين واليهود في إطار عقد الذمة، وذلك ما يشهد به التاريخ من خلال استمرار الوجود المسيحي واليهودي في ظل دولة الإسلام بالأندلس عبر ثمانية قرون. فقد ضمنت عقود ومعاهدات الصلح بين الفاتحين المسلمين وحكام المدن الإيبيرية، الخصوصية الدينية للأهالي من أهل الكتاب، فوفرت لهم الحماية القانونية للعبادة وممارسة الشعائر والطقوس الدينية. ولم يجبر أحد من الذميين على الدخول في الإسلام، بل كانت لهم الحرية التامة في الاختيار بين الاستمرار على عقيدتهم السابقة وأداء الجزية، أو الدخول في الإسلام والخضوع لنفس التشريع المسلمين[4].

---

[1] – عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص199؛ حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية**، ص134.

[2] – حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية**، ص147–148.

[3] – حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية**، 148؛ طرخان، إبراهيم علي (1966)، **المسلمون في أوربا في العصور الوسطى**، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 278.

[4] – مؤنس، **فجر الأندلس**، 396–397؛ الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، 135.

وتعامل الفقه الإسلامي بالأندلس بكثير من المرونة في حكم الذميين الذين أسلموا ثم قرروا التراجع عن الإسلام والعودة إلى دينهم الأصلي، ولم يلاموا على ذلك[1]. وتجاورت الجوامع والمساجد مع الكنائس والبيع في نفس الحواضر والمدن والبوادي. وأشارت المصادر التاريخية إلى انتشار الكنائس في بلاد الأندلس، سواء الكنائس القديمة الموروثة عن العهد القوطي أو الكنائس الجديدة التي تم السماح ببنائها في العصر الإسلامي وقرع أجراسها وفق طقوسها، في مظهر مثير ودال على التسامح العام في المجتمع الأندلسي ذي الغالبية المسلمة، ومن ذلك مثلا مدينة قرطبة التي وجدت بها عدة كنائس وبيع إلى جانب الجامع الأعظم أو المسجد الكبير الأموي، فضلا عن مساجد أخرى. واستمرت هذه الأجواء عبر مراحل التاريخ الأندلسي حتى عصر بني نصر[2].

واحتفل المسيحيون واليهود بأعيادهم الدينية بكل حرية واحترام من المسلمين، بل وبمشاركتهم ومباركتهم، ومنها عيد النيروز أو النوروز خلال رأس السنة الميلادية، وعيد خميس أبريل أو خميس العهد، وعيد الفصح في الرابع والعشرين من أبريل، وعيد العنصرة أو المهرجان بالنسبة للمسيحيين؛ وعيد الفطير، وعيد الغفران، وعيد رأس السنة العبرية بالنسبة لليهود[3]. وجرت العادة بالتعطل يومي السبت والأحد وهما يوما عطلة بالنسبة المسيحيين واليهود. وكانت تقام فيهما الطقوس الدينية، وتدق الأجراس في الكنائس وتتلى التوراة في البيع[4]. واستمرت هذه الأجواء من التعايش الديني الاجتماعي عبر المشاركة في الاحتفالات حتى عصر بني نصر، حيث شارك الغرناطيون إخوانهم المسيحيين في أعيادهم المذكورة. وتجد هذه المشاركة الروحية تفسيرها في الحياة المشتركة التي عاشها المسلمون والمسيحيون في الاندلس جنبا إلى جنب قرونا طويلة، كما ترجع أيضا إلى نظرة الاحترام التي يكنها المسلمون نحو السيد المسيح كما ورد في القرآن الكريم[5]. وينطبق نفس الأمر على أعياد اليهود أيضا في المجتمع الأندلسي.

---

[1] – الونشريسي، أبو العباس (1981)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وجماعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ، ج8، 63.

[2] – الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، 137.

[3] – عيساوة، محمد (دجنبر 2018):" الأعياد والاحتفالات الدينية مظهرا بارزا من مظاهر التسامح والتعايش السلمي الاجتماعي بين الأديان السماوية في الاندلس"، **مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد10، العدد4، السنة10، 15–17.

[4] – شحلان، أحمد (2023): الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط، منشور ضمن كتاب: **الحضارة الاندلسية في الاندلس ومظاهر التسامح**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2003.

[5] – عبادي، أحمد مختار (1970) : الأعياد في مملكة غرناطة، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، المجلد15، ص140.

ومن مظاهر التعايش الديني بين المسلمين وأهل الكتاب في المجتمع الأندلسي تلك المناظرات الدينية التي كانت تحصل بين الفينة والأخرى بين فقهاء الإسلام من جهة، ورهبان النصارى وأحبار اليهود من جهة أخرى. ومن أشهرها مناظرات الفقيه الظاهري ابن حزم مع نصارى ويهود الأندلس، حيث كانت له معهم" مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة وله مصنفات في ذلك معروفة"[1]، ومنها رده على ابن النغريلة اليهودي[2]. ومنها رد الفقيه المالكي أبي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسي إلى المقتدر بالله، صاحب سرقسطة. ولقيت هذه الرسالة وجوابها إقبالا من الدارسين لأنهما تعكسان صورة التسامح الديني الذي تجاوز حدود الاندلس[3]. وغيرها من المناظرات. وقد مكنت هذه الأجواء المنظومة الفكرية الأندلسية من إضافة علم جديد هو علم مقارنة الأديان على يد ابن حزم، وهو العلم الذي لم يعرفه الغرب المسيحي إلا في زمن متأخر[4].

ومن مظاهر التسامح الديني أيضا، معاملة رجال الدين المسيحيين واليهود معاملة خاصة تليق بوظيفتهم ومكانتهم. ومن ذلك ضمان حريتهم في ممارسة وظائفهم الدينية التأطيرية وأداء الشعائر بكل حرية، واحتفاظهم بملابسهم وأزيائهم الخاصة دون أي تقييد أو اعتراض. ومراعاة لمكانتهم كذلك، حرالحكم الإسلامي على الاحتفاء تنصيب رؤساء الطوائف الدينية وضمهم إلى البلاط الحاكم، مع ترك حرية اختيار المسؤولين الدينيين بيد جماعاتهم، ضمانا لاستقلاليتهم. وفي هذا الإطار حرالحكم الإسلامي بالأندلس على احترام التنظيم الإداري والقضائي لأهل الذمة. فبالنسبة للنصارى، كانت الحكومات تحترم اختيارات رجال الدين المسيحيين لمن يمثلهم من قوامسة المدن (جمع قومس) الذين كانوا يقعون تحت نفوذ قومس قرطبة، ويتولون الإشراف على الشؤون المدنية والقضائية للنصارى، وتمثيلهم أمام السلطة السياسية في البلاد، وجمع الجزية، والمشاركة في مختلف الأنشطة والفعاليات السياسية والديبلوماسية كاستقبال ملوك الدول المجاورة وسفرائهم بالإضافة إلى مرافقتهم كمترجمين.

وعلى المستوى القضائي، ترك المسلمون النصارى يفصلون في أقضيتهم وفقا للقانون القوطي القديم بالأندلس، باستثناء القضايا التي كانت تقع بين المسلمين والنصارى، فقد كانت ترفع إلى القضاء الإسلامي، ويحكم فيها وفق شريعة الإسلام. وكذلك الشأن النسبة لليهود، فعلى غرار المكانة الاعتبارية لمنصب قومس قرطبة باعتبارها العاصمة، أحدث المسلمون منصب رئيس الطائفة اليهودية وسمي Nasi وتعني رئيس بالعبرية. ويقتضي ذلك موافقة كبار رجال الدين اليهود. ويقوم بمهام القومس

---

[1] – ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم 1، ص143.

[2] – ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي(1960)، **الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

[3] – الشرقاوي، محمد (1986)، رسالة **راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها**، دار الصحوة للنشر.

[4] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، المجلد2، 408.

لصالح الطائفة اليهودية، فهو الذي يعين كبير الأحبار (الحاخام الأكبر)، والقاضي اليهودي أو الديان كما يسميه اليهود. وكان الناسي Nasi هو الذي يعينهم في المدن الاندلسية، ثم صاروا ينتخبون لاحقا. ثم منصب الحزان وهو بمثابة الواعظ والخطيب. وكان اليهود يحتكمون إلى قوانينهم وقضاتهم، دون أي تدخل في شؤونهم القضائية من الإدارة الإسلامية، باستثناء القضايا التي تقع بين المسلمين واليهود فترفع إلى القضاء الإسلامي أيضا[1].

وقد نوه المستشرق الإسباني سيمونيت Simonet– رغم تشدده إزاء العرب والمسلمين– بهذا المستوى من التسامح والتعايش على المستوى الإداري والقانوني، حيث يقول :"لقد احتفظ النصارى الإسبان في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس، بنوع من الاستقلال الخابهم، حيث سمح لهم المسلمون بالاحتفاظ بأحوالهم القديمة دون تغيير ، وبخاصة في النواحي التشريعية، فقد احتفظوا بنظمهم الكهنوتية وقوانينهم الكنسية، بل أصبحت تحكمهم القوانين القوطية القديمة في مسائل التقاضي بينهم، Fuero Juzgo وكانت لهم حكومة محلية شبه مستقلة لإدارة شؤنهم"[2]. كما يشهد بذلك أيضا مستشرق إسباني آخر هو ألتاميرا Altamira، قائلا: "احتفظ غالبية الشعب الإسباني ممن بقوا على عقيدتهم في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس، برؤسائهم من رجال الدين، من الأقساط أو الكونتات، وذلك في القضاء وأسقفية الكنائس، ولم يفرض ولاة الأندلس عليهم سوى الضرائب الشرعية"[3].

وفي إطار الحقوق الدينية كذلك، ضمن الحكم الإسلامي بالأندلس الحماية اللازمة لأماكن العبادة لأهل الذمة على غرار المسلمين، فتجاورت المساجد والجوامع مع الكنائس المسيحية والبيع اليهودية في جو من الانسجام والتعايش الديني والاجتماعي عبر التاريخ الأندلسي. وهكذا، أبقى أمراء الأندلس على كنائس النصارى وبيع اليهود بعد الفتح، بل كانوا لا يعترضون على توسيع الكنائس القديمة، أو بناء كنائس جديدة[4]. وعندما اختط الأمير محمد بن عبد الرحمن مدينة مجريط (مدريد) بنيت بها كنيسة عرفت بالعذراء بجوار قصر الحاكم. ويؤكد أحد الرهبان أن النصارى بنوا كنائس وأديرة كثيرة للرهبان والراهبات[5].

---

[1] – ابن سهل، أبو الأصبغ (1980): **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس** مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، 1980، 12؛ حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص444.

[2]– Francisco J Simonet (1879): **Historia de Los Mozarabes de Espan** , Madrid, Volume I ,P.106.

[3]– R, Crevea Y Altamira (1900): **Historia de Espana Y Civilizacion Espanola**, Barcelona, Tomo I, P. 217.

[4] – عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص147.

[5] – أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص158.

ومن نتائج سياسة حرية العبادة التي التزم بها المسلمون، كثرة الكنائس وانتشارها في كل الأندلس بالمدن الصغرى والكبرى والأرياف، حتى قدرت بعض الدراسات أن أعداد الأسقفيات والكنائس التي انتشرت في أنحاء الأندلس خلال الحكم الأموي قد بلغت نيفا وثلاثين مطرانية (أبرشية) وأسقفية، ومن أشهرها الكنيسة العظمى بقرطبة أيام الخلافة الأموية. وكان المسلمون يشتركون مع المسيحيين في بعض الفترات في كنائسهم لأداء الصلاة مقتدين بما فعله أسلافهم بكنيسة القديس يوحنا بدمشق، فشاركوا نصارى قرطبة كنيستهم الجامعة لفترة من الزمن قبل تأسيس الجامع الأعظم[1]. وتنضاف إلى الجوامع والكنائس دور العبادة لليهود (الشنوغات)، حيث سمح المسلمون لهم أيضا بإنشاء العديد من دور العبادة في جميع أنحاء البلاد. ومنها الشنوغة التي بناها إسحاق بن عزرا بن شبروط – والد الطبيب حسداي– في مدينة قرطبة في مجال متجاور مع الكنيسة والجامع. واشتهرت مدن أخرى باحتضان أعداد كبيرة من اليهود، مما سمح بتواجد مهم لدور العبادة اليهودية بالأندلس، في قرطبة وغرناطة ولوسينا وإشبيلية ومالقة وسرقسطة وطليطلة[2].

4-2 إدماج أهل الذمة في الوظائف الرسمية للدولة الإسلامية

إن الحكم الإسلامي في الأندلس الذي وفى بالعهود والمواثيق مع الأهالي المسيحيين واليهود منذ اللحظات الأولى للفتح، وسعى عبر عصور الدولة الإسلامية المختلفة إلى ترسيخ التعايش الديني وجعله في خدمة السلم المجتمعي؛ قد سعى أيضا إلى إدماج أهل الذمة في البنية الإدارية للدولة تكريسا لمبدأ المساواة في حقوق المواطنة أمام كل أبناء الديانات من المجتمع الأندلسي. وقد بلغوا مراتب عظيمة في الدولة.

وتعتبر خطة الوزارة والكتابة من أهم الخطط التي تولوها، بالإضافة إلى خطط أخرى أمنية ومالية وقضائية وديبلوماسية وطبية... فقد ولى بعض أمراء وخلفاء الدولة الأموية عددا من القوامس النصارى "كتابتهم العظمى وقلمهم الأعلى"، وهي خطة عظيمة الأهمية تفرض ملازمة الكاتب للأمير وخاصة أثناء تدبير شؤون الحكم، حيث يكون الكاتب بمثابة جليس الأمير وأمين سره3. وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تولى يحي بن إسحاق الطبيب الوزارة، وهو من أصل نصراني. وقبل ذلك كان قد ولاه على الشرطة الصغرى ثم أضاف إليه خطة الرد وهي من الخطط القضائية، فجمع

[1] – كحيلة، عبادة (1993)، **تاريخ النصارى في الاندلس**، مصر، ص142.

[2] – مؤنس، **فجر الأندلس**، 414؛ عبد المجيد، محمد بحر (1970)، **اليهود في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 21. وانظر بالتفصيل مراكز استقرار اليهود بالأندلس: الخالدي، خالد يونس عبد العزيز (2011)، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، غزة، فلسطين، ص75–156.

[3] – عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص163.

بينهما[1]. كما ولى الخليفة الناصر أيضا خليله ونديمه الطبيب اليهودي أبو يوسف حسداي بن إسحاق بن شبروط إدارة المالية، وهي من أرفع المناصب الجمركية في الدولة. كما اشتغلوا كمترجمين ومرافقين للملوك والأمراء في المقابلات الرسمية مع ملوك وسفراء الدول والممالك النصرانية، حيث كانوا يتقنون عدة لغات: العربية واللاتينية والعبرية والقشتالية.

وفي السلك الديبلوماسي، اعتمد الحكام الأمويون على أهل الذمة في العلاقات الخارجية خاصة مع الممالك النصرانية. فكلفوا العديد من المستعربين النصارى واليهود بسفارات رسمية وغير رسمية إلى ملوك وحكام الممالك النصرانية المجاورة. ومن نماذج ذلك، بعث الخليفة الناصر السفير والطبيب اليهودي حسداي بن شبروط في مهمة ديبلوماسية وعلاجية في نفس الوقت إلى بلاط ملكة نافرة Navarre تلبية لطلبها لاسترداد عرش مملكة ليون لحفيدها شانجه الذي كان مريضا بالسمنة وعزل بسبب ذلك. ونجحت المهمة الديبلوماسية، وحضرت الملكة شخصيا إلى قرطبة للقاء الخليفة الناصر تعبيرا عن الاعتراف بالجميل[2]. واضطلع هذا السفير اليهودي أيضا بالسفارة إلى الممالك الإفرنجية لعقد السلم معها ممثلا للخليفة الناصر، كما نوه بذلك المؤرخ المسلم ابن حيان بقوله: "وفيها (سنة 939/328) عقد حسداي بن إسحاق الإسرائيلي الكاتب، السلم مع شنيير بن غيفريد الإفرنجي صاحب برشلونة وأعمالها، على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله وحدها"[3]. كما نجح بمعية عدد من أساقفة النصارى في عقد الصلح مع رذمير الثاني ملك جليقية، "فتم الصلح على أتم الوجوه، وارتفعت به الحرب بين الملتين"[4]. وتمكن كذلك من عقد السلم مع مملكة ليون في عهد ملكها أوردونو الثالث[5]. وهكذا، قدم الطبيب والسفير اليهودي حسداي بن شبروط نموذجا للديبلوماسيين الذميين الناجحين في بلاط أعظم خلفاء بني أمية بالأندلس، مما جعل اليهود يفتخرون به. كما نوه المؤرخ المسلم ابن حيان، فقال عنه: "واحد العصر الذي لا يعدل به خادم ملك، في الأبد وسعة الحيلة، ولطف المدخل وحسن الولوج"[6].

وبعد وفاته، برز ديبلوماسي يهودي آخر في عهد الخليفة المستنصر، وهو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي. وقد اضطلع بعدة سفارات، من أهمها سفارته نحو روما سنة 350هـ لمقابلة

---

[1] – المرجع السابق، ص164.

[2] – عبد الحليم، رجب محمد (د ت)، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت، ص411.

[3] – ابن حيان، أبو مروان (1979)، **المقتبس**، اعتنى بنشره ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة – كلية الآداب الرباط، مدريد، ص454–455؛

[4] – ابن حيان، **المقتبس**، 467.

5 – ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج2، 221.

[6] – **ابن حيان، المقتبس**، ج5، 466.

البابا يوحنا الثاني عشر، وسفارتيه إلى ألمانيا[1]. كما اشتهر الطبيب النصراني ربيع بن زيد الأسقف –ريثموندو– بسفارته إلى الامبراطور الروماني أوتو الأول (Otto I) بتكليف من الخليفة الناصر للاستيضاح حول الموقف الرسمي من الإسلام والمسلمين، بعد الخطاب المتطرف الذي أعلنه السفير الروماني بقرطبة. وتمكن السفير ربيع من النجاح في مهمته، باستصدار الموقف الرسمي للامبراطور المخالف كليا لموقف سفيره الأسقف المتطرف يوحنا الجوزري. وهكذا، تبددت غيوم الشك في العلاقات بين الدولتين بسبب حنكة هذا السفير. وهكذا، اجتمعت في بلاط الخليفة الناصر خبرات الأطباء والديبلوماسيين الذميين والمسلمين، مثل الطبيب اليهودي حسداي، والطبيب النصراني ربيع بن زيد، والطبيب المسلم أبي الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني؛ مما يدل على قمة التسامح والتعايش في الأندلس خلال عصر الخليفة الناصر[2].

5-2/ السعي إلى ترسيخ التعايش الديني الدولي

ارتباطا بالجانب الديبلوماسي، وفي سبيل ترسيخ قيم التعايش الديني الدولي، سعى ملوك الإسلام بالأندلس إلى إشاعة السلم في العلاقات الدولية عبر تبادل السفارات مع نظرائهم المسيحيين ومع البابوات. ومن ذلك البعثات الديبلوماسية التي تميز بها عهد الخلافة الأموية سواء في عهد الخليفة الناصر أو الخليفة المستنصر وغيرهما. وظل ذلك العرف ثابتا في العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية بالأندلس، إذ لم تكن تسعى إلى الحرب، بل كانت تسعى دوما إلى أولوية السلم. ولم تخض الحروب في معظم الأحوال إلا في سبيل الدفاع. كما سعت إلى التفاهم مع رجال الدين لتعزيز الحوار والتعايش. ومن ذلك رسائل متبادلة بين الخليفة المرتضى الموحدي والبابا إينوصان الرابع، تفصح عن كثير من الاحترام والتسامح. فقد خاطب الخليفة البابا بقوله:" ومتى سنح لكم أسعدكم الله تعالى بتقواه أن توجهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين أعزهم الله، من ترونه برسم ما يصلح في دينهم، ويجريهم على مقتضى قوانينهم، فتخيروه من أهل العقل الراجح، والسمت الحسن، وممن سلك في النزاهة على واضح السنن". وختم رسالته بالقول:" إلى مطاع ملوك النصرانية، ومعظم عظماء الأمة الرومية، وقيم الملة المسيحية، ووارث رياستها الدينية البابا إينوسونس أنار الله تعالى بصيرته بالتوفيق والإرشاد ومنحه بتقواه سعادة المحيى والممات"[3].

---

[1] – عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، 172.

[2] – بنشريفة، محمد (1985)، حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين، ضمن: ندوات أكاديمية المملكة: **حلقة وصل بين الشرق والغرب أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون**. منشورات أكاديمية المملكة، أكادير، 19.

[3] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الأندلس تاريخ وحضارة**، ج2، 406-407.

6- 2/ الزواج المختلط وعاء التعايش الاجتماعي والديني

رغم أن المجتمع الأندلسي كان مجتمعا تراتبيا، حيث تتمايز فيه الطبقات الاجتماعية وفق التراتبية التالية: الخاصة، والطبقة الوسطى ثم العامة؛ فإن التمييز داخل هذه التراتبية لم يخضع لعنصري الدين أو العرق، خلافا لما كان عليه الحال في مجتمعات العصر الوسيط. ولذلك، كان تصنيف أبناء المجتمع الأندلسي باختلاف أديانهم وأعراقهم يخضع لمعايير المكانة الاجتماعية والنفوذ السياسي والاقتصادي والعلمي...، ولا أثر للانتماء الديني أو العرقي في ذلك. وهكذا، يمكن أن ينتمي أفراد من أهل الذمة النصارى واليهود إلى الخاصة أو الطبقة الوسطى، مثلما يمكن أن ينتموا أيضا إلى العامة؛ على غرار المسلمين. فقد كان منهم الوزراء والكتاب والعلماء والأطباء والسفراء والقضاة...، وكان منهم التجار الكبار والصيارفة وأرباب الصناعة...كما كان منهم العامة أيضا. ولعل في الأمثلة التي سبقت من الأطباء السفراء في قصر الخليفة الناصر خير دليل. ولم تنقطع مشاركة الذميين في تدبير شؤون الدولة الإسلامية على مر التاريخ الأندلسي، مما يؤكد استمرارية النخب الذمية في قمة الهرم الإداري والاجتماعي بالأندلس. وينطبق نفس المبدأ على الجانب الاقتصادي، حيث ظل النفوذ الاقتصادي لأهل الذمة وخاصة اليهود الذين اشتهروا باحتكار أنشطة مالية وتجارية معينة كالصيرفة وتجارة المعادن النفيسة، ظاهرة مستمرة بالأندلس على طول تاريخها. مما يعني استمرار تصدر فئات من اليهود والنصارى للطبقات العليا من المجتمع بفعل نفوذها الاقتصادي.

ورغم وجود أحياء خاصة بالطوائف الدينية، خاصة اليهود في بعض المدن الأندلسية، فإن السكنى بها لم تكن إلزامية. وهكذا، كانت فئات المجتمع من مختلف الأديان تعيش في جو من التساكن والتجاور والتعايش. فتجاور الفقهاء والمسلمون عامة مع الذميين من النصارى واليهود في السكن في مختلف المدن والبوادي الأندلسية، وربطتهم علاقات صداقة متينة سجلتها المصادر التاريخية بتقدير كبير. ومن نماذج ذلك، الصداقة المتينة التي جمعت أرطباس ابن الملك غيطشة وأمراء وحكام الأندلس ومنهم الأمير عبد الرحمن الداخل. كما حرالعديد من وجوه العرب وعلية القوم على صداقة أرطباس وحضور مجلسه والتقرب إليه، لما تميز به من شخصية دمثة ومحبوبة[1]. ويذكر التاريخ صداقة استثنائية بين الفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري -تلميذ الإمام مالك- وأحد يهود قرطبة، حيث اختبأ الفقيه طالوت في بيت صديقه اليهودي هذا لمدة عام كامل إثر ثورة الربض فرارا من بطش وتنكيب الأمير الحكم بن هشام بالثوار الذين كان الفقيه طالوت من أكبر زعمائهم. وقد

[1]- ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الاندلس**، 60-63؛ لسان الدين، ابن الخطيب (د ت)، **الإحاطة في اخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ج1، 109؛ عبد الكافي، **التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس**، ص214.

ظل هذا اليهودي وفيا لصديقه طالوت، حافظا لسره، ويقوم بشؤونه، ويكرمه أبلغ الإكرام، ويعظمه أشد التعظيم. وبعد انصراف عام كامل، أراد الفقيه طالوت اللجوء إلى بيت أحد تلامذته وقد كان وجيها عند الأمير الحكم، أملا في التوسط لديه من أجل العفو. فاستدعى اليهودي، وشكره على إحسانه إليه وقال له:" لقد عزمت غدا على الخروج، وقصد دار فلان الكاتب، لأنه قرأ علي، ولي عليه حق التعليم، وقد بلغني أن له جاها عند هذا الرجل، فعسى هو يشفع لي عنده فيؤمنني ويدعني في بلدي، فقال له اليهودي: يا مولاي لا تفعل، فما آمنهم عليك، وجعل يحلف له بكل يمين يعتقده، أنه لو أقام عنده بقية عمره، ما أمله ذلك، ولا ثقل عليه، فأبى إلا الخروج، فخلى بينه وبين ذلك". والتجأ الفقيه طالوت إلى دار تلميذه، فقعليه القصة كاملة، وتشفّع له عند الأمير الحكم، فعفا عنه، كما عفا عن اليهودي الذي أخفاه في بيته طيلة تلك المدة[1]. وهذه القصة لوحدها خير دليل على متانة الصداقة والثقة المتبادلة بين الفقيه طالوت واليهودي في ظرفية شديدة الخطورة إثر ثورة الربض.

وكان الفقيه ابن حزم الأندلسي صديقا لأحد يهود ألمرية هو إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، يتردد عليه كثيرا ويجالسه في دكانه2. وتتواصل نماذج الصداقات بين العلماء المسلمين واليهود، لتوقفنا على نموذج آخر من أواخر التاريخ الأندلسي، هو صداقة المؤرخ ابن الخطيب بالحكيم يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطلي، كما يظهر ذلك في أسلوب التخاطب بينهما، حيث يقول ابن الخطيب:" وقد كنت طلبت شيئا من ذلك (أخبار ملوك قشتالة) من مظنته، وهو الحكيم الشهير، طبيب دار قشتالة، وأستاذ علمائها، يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطلي، لما وصل إلينا في غرض الرياسة عن سلطانه، فقيد لي في ذلك تقييدا، أنقل منه بلفظه، أو بمعناه ما أمكن، وأستدرك ما أغفل، إذ ليس بقادح في الغرض، قال الحكيم: سألت أعزك الله، وأدام كراكتك أن أثبت لك ما تحقق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة"[3].

ولعل من أقوى مظاهر التعايش الاجتماعي ومحدداته في نفس الوقت، المصاهرة أو الزواج المختلط بين المسلمين وأهل الذمة، منذ الفتح الإسلامي للأندلس، وظل ظاهرة متواصلة الحضور في المجتمع الأندلسي عبر العصور، لتشمل مختلف الفئات الاجتماعية من القادة والجنود والولاة والأمراء والخلفاء والعلماء والأغنياء وغيرهم، مما أدى إلى اختلاط كبير جدا في الأنساب بين الأسر المسلمة والمسيحية واليهودية، وجعل التعايش الاجتماعي وعاء للتعايش الديني. ويرجع تاريخ هذه الظاهرة إلى

---

[1] – ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، 75–76؛ المراكشي، عبد الواحد (1949)، **المعجب في تلخيأخبار المغرب** (ط1)، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة دار الاستقامة، القاهرة، ص21.

[2] – ابن حزم، أبو محمد علي (1992)، **طوق الحمامة في الإلف والآلاف**، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، دار الهلال، ص57.

[3] – ابن الخطيب، لسان الدين (د ت)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، القسم2، 322.

مرحلة الفتح، حيث دخل الفاتحون المسلمون الأندلس دون نساء مسلمات، فكان الزواج المختلط ضرورة اجتماعية وأمرا لا مفر منه[1]، مما أدى إلى انتشار واسع النطاق لهذه العملية، حيث قدر أحد المؤرخين المعاصرين أن العرب تزوجوا في بدء الفتح ثلاثين ألف نصرانية[2]. ولعل الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير كان من أوائل من تزوج بامرأة نصرانية بالأندلس، وهي أرملة لذريق المعروفة بالاسم المسيحي Egilona وبالإسم العربي أم عاصم، وسكن معها إشبيلية. وحذا حذوه كثير من رجال العرب وأمراء بني أمية. ونتيجة لذلك، كان كثير من الأمراء من أمهات نصرانيات اعتنقن الإسلام فيما بعد نتيجة الزواج المختلط[3]. وهو ما يؤكده ابن حزم بقوله: "وأما جماعة بني مروان –رحمهم الله– ولا سيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة، لا يختلف في ذلك منهم مختلف، وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن، فما منهم إلا نزاعا إلى أمهاتهم حتى صار ذلك فيهم خلقة"[4].

واستمر الأمر كذلك في باقي عصور الأندلس. ونذكر هنا أن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين قد تزوج امرأة رومية إسمها "قمر"، وتكنى"أم الحسن"، وهي أم الأمير علي بن يوسف[5]، الذي تزوج بدوره من رومية تكنى"رياض الحسن" وهي أم الأمير عمر الصغير[6]. ونفس الأمر بالنسبة لعدد من خلفاء الموحدين، الذين كان عدد منهم من نسل روميات أمهات أولاد، منهم الخليفة محمد الناصر وأمه "السيدة زهر"[7]، والخليفة العادل بنيعقوب المنصور وأمه "السيدة سر الحسن"[8]؛ والخليفة عبد الواحد بن المأمون وأمه "السيدة حباب"[9]؛ والخليفة أبو العلاء إدريس الملقب بأبي دبوس آخر خلفاء الموحدين، كانت أمه أيضا أم ولد رومية إسمها "السيدة شمس"[10]. وكانت هؤلاء النساء، بحكم

---

[1] – جنثالث، بالنثيا آنجل (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تعريب: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص1.

[2] – لوبون، غوستاف (د ت)، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، ص268.

[3] – سيمو، وحافظي علوي (وآخرون)، **الاندلس تاريخ وحضارة**، ج2، 63.

[4] – ابن حزم، أبو محمد علي (1980)، **طوق الحمامة في الألفة والألّف** (ط3)، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ص48.

[5] – ابن أبي زرع الفاسي، علي (1972)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 157.

[6] – مؤلف مجهول (1979)، **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية** (ط1)، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج1، ص84.

[7] – المراكشي، **المعجب**، 438.

[8] – ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، 245.

[9] – المصدر السابق، 254.

[10] – المصدر السابق، 259.

مكانتهن في قصور الحكام والأمراء، محظيات ومؤثرات بشكل كبير في تدبير شؤون الحكم، خاصة إذا كن أمهات أولاد، حيث كثيرا ما سعين إلى التحكم في منصب ولاية العهد. ولم تشمل ظاهرة الزواج المختلط فقط الأسر الحاكمة، بل شملت الخاصة والعامة على السواء. وكان لهذه الظاهرة أثر كبير في الاندماج العرقي والاجتماعي والثقافي والحضاري والتعايش الديني بين المسلمين والإسبان مسيحيين ويهودا؛ بل كان له أثر كبير في تسريع حركة الدخول في الإسلام، وتكثير سواد المسلمين من خلال فئة المولدين...[1].

الخاتمة:

شكلت التجربة الأندلسية تجربة إسلامية وإنسانية فريدة ومتميزة في التدبير الحضاري للعيش المشترك بين أهل الديانات السماوية الثلاث.

فقد كان الفتح الإسلامي للأندلس فتحا إنسانيا وحضاريا بامتياز، تحررت بموجبه شبه الجزيرة الإيبيرية من الاضطهاد الديني والسياسي والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي في ظل النظام القوطي الكاثوليكي؛ وانتقلت إلى عصر جديد، وتجربة حضارية جديدة في ظل الإسلام، عبر ثمانية قرون، تمتعت خلالها كل فئات المجتمع الأندلسي وطوائفه وأعراقه بمختلف الحقوق والحريات التي تضمنها شريعة الإسلام المتسمة بالوسطية والاعتدال والسماحة والقبول بالاختلاف والتعدد. فكان التساكن والتجاور والمصاهرة والتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود من أسرار السلم المجتمعي والنبوغ الحضاري في المجتمع الأندلسي بمختلف مكوناته العرقية والدينية.

وقد تجلت مظاهر ذلك التعايش والتساكن في كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والاقتصادية، منذ اللحظات الجنينية للفتح الإسلامي، واستمرت في التطور والازدهار عبر عصور الدولة الإسلامية بالأندلس. فأسهم أبناء الأديان والأعراق المختلفة، من المسلمين والمسيحيين واليهود، والعرب والأمازيغ والإيبريين والصقالبة والزنوج في بناء الحضارة الأندلسية وتحقيق إنجازاتها العلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بفضل ما تميز به الحكم الإسلامي بالأندلس من تسامح ديني وحضاري عظيم، أدهش القدامى والمعاصرين.

ومن ثم، يوصي البحث بضرورة اعتبار التجربة الحضارية الأندلسية كتجربة ناجعة وفعالة في تنزيل قيم التعايش والتسامح الديني في عالمنا المعاصر، من خلال ما تميزت به من التزام مجتمعي شامل بقيم التسامح والتعايش والتساكن، والتي أثمرت حضارة أندلسية خالدة بقيمها الحضارية رغم انتهاء زمنها السياسي.

---

[1] – الجبالي، خالد حسن حمد (2004)، **الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان منذ الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة (92–422هـ)**، مكتبة الآداب، القاهرة.

لتظل بذلك، تجربة التساكن والتعايش الديني والحضاري بالأندلس، تجربة حضارية جديرة بالاعتبار في سبيل ترشيد البشرية نحو مستقبل آمن، ينبني على قيم التعايش والتسامح، لا قيم الكراهية والعدوان.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن أبي زرع الفاسي، على (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط.
- ابن الخطيب، لسان الدين (د ت). الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر.
- ابن الخطيب، لسان الدين (د ت). أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم2، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت.
- ابن القوطية، أبو بكر(1989). تاريخ افتتاح الأندلس (ط2)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة– دار الكتاب اللبناني بيروت.
- ابن بسام الشنتريني، على (1979). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ط2)، القسم–1، المجلد 2، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي(1960). الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- ابن حزم، أبو محمّد علي (1992). طوق الحمامة في الإلف والآلاف، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار الهلال.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (1979). المقتبس من أنباء أهل الأندلس ج5، (عهد عبد الرحمن الناصر)، المعهد العربي الإسباني، مدريد.
- ابن سهل، أبو الأصبغ (1980). وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الاندلس مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف(1350هت). القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، نشره حسام الدين القدسي، مطبعة السعادة، القاهرة.

- ابن عبود، امحمد (1999). جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري (ط2)، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية وجمعية تطاون أسمير، تطوان.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس (1980). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ط2)، ج2، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.
- ابن عميرة الضبي، أحمد بن يحيى (1967). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي.
- أرنولد، توماس (1971). الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية.
- بالنثيآ، آنجل جنثالث(1955). تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955.
- بدر، أحمد (1969). دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ج1، مطابع الأديب، دمشق، 1969.
- بنشريفة، محمد (1985). حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين. ندوات أكاديمية المملكة: حلقة وصل بين الشرق والغرب أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون. منشورات أكاديمية المملكة، أكادير 1985.
- الجبالي، خالد حسن حمد (2004). الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان منذ الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة (92–422هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الحجي، عبد الرحمن علي (1981). التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (ط2)، دار القلم، دمشق، بيروت.
- حمادة، محمد ماهر (1986). الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية (ط2)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الخالدي، خالد يونس عبد العزيز (2011). اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، غزة، فلسطين.
- دوزي، رينهارت (1994). المسلمون في الأندلس، ج1، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- سيمو، بهيجة؛ و حافظي علوي، حسن (وآخرون) (2018)، الأندلس تاريخ وحضارة، التاريخ السياسي (ط1)، المجلد الأول، منشورات مديرية الوثائق الملكية، الدار البيضاء.
- شحلان، أحمد (2003). الحضارة الاندلسية في الاندلس ومظاهر التسامح، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2003.
- شحلان، أحمد (2006). التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- شحلان، أحمد (2016). الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط، https://textessacres.wordpress.com/2016/01/12/ تاريخ الاطلاع:2023/4/10.
- الشرقاوي، محمد عبد الله (1986). رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر.
- طرخان، إبراهيم علي (1966). المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
- الطوخي، أحمد محمد (1997). مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- عبادي، أحمد مختار (1970). الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد15.
- عبد الحليم، رجب محمد (د ت). العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت.
- عبد الكافي، محمود كامل (2015). التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2015.
- عبد المجيد، محمد بحر (1970). اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر.
- –عنان، محمد عبد الله (1997). دولة الإسلام في الأندلس (ط4)، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- عيساوة، محمد (دحنبر 2018). الأعياد والاحتفالات الدينية مظهرا بارزا من مظاهر التسامح والتعايش السلمي الاجتماعي بين الأديان السماوية في الاندلس، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد10، العدد4، السنة10.
- القادري بوتشيش، إبراهيم (1998). مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (ط1)، دار الطليعة، بيروت.
- كولان، جورج (1980)، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني بيروت– دار الكتاب المصري القاهرة.
- لوبون، غوستاف(دت). حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر.
- المراكشي، عبد الواحد (1949). المعجب في تلخيأخبار المغرب (ط1)، تحقيقمحمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة دار الاستقامة، القاهرة.
- المقري التلمساني، أبو العباس (1968). نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- مؤلف مجهول (1979). الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
- مؤلف مجهول (1989). أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم (ط2)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة– دار الكتاب اللبناني بيروت.
- مؤنس، حسين (2008). فجر الأندلس (ط4)، دار الرشاد، القاهرة.
- الونشريسي، أبو العباس (1981). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (ط1)، ج8، تحقيق محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط.
- Dozy, Reinhart (1981), Recherche sue l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant Le moyen Age, Leiden, Brill.
- Francisco, Simonet (1879), Historia de Los Mozarabes de Espana, Volume I, Madrid.
- Peres, Henri (1937), La Poésie Andalouse en Arabe classique au XI siècle, Paris.

- Provençal, Levy (1950), Histoire de L'Espagne musulmane, Tome III., Maisonneuve, Paris.
- Rafael Altamira y Crevea (1900), Historia de Espana Y Civilizacion Espanola, Tomo I, Barcelona.